المورد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة والأعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

المجلد الحادي والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

الطير في حياة الحيوان للدميري

« من منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ١٩٨٦ »

تحقيق
الاستاذ عزيز العلي العزي

عرض
عادل محمد علي الشيخ حسين
عضو اتحاد المؤرخين العرب

كان من المؤمل أن يقوم الاساتذة هلال ناجي وعزيز العلي العزي والدكتور جليل ابو الحب بتحقيق كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري بكل فصوله من لبائن واسماك وطيور وبرمائيات وحشرات وغير ذلك . إلا انه مع الاسف لم تتحقق هذه الامنية التي طالما انتظرها عشاق التراث العلمي العربي الاسلامي .

وبعد فترة تربو على السنتين ونيف ، صدر تحقيق قيم لفصل واحد من هذا الكتاب من قبل الاستاذ الفاضل عزيز العلي العزي الذي اتحف المكتبة العربية بالمزيد من الدراسات والبحوث الرصينة وبالاخص في مجال تحليل وابراز الوجه المشرق من تراثنا العلمي العربي الاسلامي . وتناولت هذه الدراسة المحققة الطيور التي ذكرها الدميري في كتابه حياة الحيوان بشكل تحليل وتحقيق ممتاز .

واتماماً للفائدة اثبت هنا بعض الهنات التي فاتت استاذنا العزي مع اعتذاري له وهي لا تقلل من اهمية هذه الدراسة الجادة في جسم تراثنا العلمي العربي الزاهر ..

١ ـ كان المفروض أن يعرف الاستاذ العزي القارىء العزيز بالعصر الذي عاش فيه الدميري وهو ما يجهله الكثير . فالمصادر التاريخية تشير الى ان الدميري عاش في فترة حكم سلاطين المماليك الشراكسة (١٣٨٢ ـ ١٥١٧ م) .

٢ ـ ما دام المحقق قد تناول سيرة الدميري بشكل مفصل فكان ينبغي أن يشير لمآثره في علم الحيوان بشكل مختصر على أقل تقدير ـ ففي اوروبا عامة والمانيا خاصة يعتبر الفيلسوف الالماني (جيته) اباً لعلم (التكافل ـ Symbiosa) لمجرد عبارة عارضة جاءت في مؤلفه « فاوست » ومضمونها « أن روحين يسكنان صدري » ، ولا يكاد يصدر كتاب الماني في هذا العلم إلا وهو يحمل على صدره هذا الشعار دلالة على اسبقية الشعب الالماني وفضله في وجود علم التكافل هذا . وللدميري فضل السبق في الحديث عن هذا العلم ، وهو لم يذكره بعبارة عارضة ، بل سجل ما يثبت وجود هذه الظاهرة التكافلية بما لا يحتمل تاويلاً ـ ولهذا فهو جدير بان يتبوأ مكان الصدارة ومنزلة السبق في الكشف عن هذا العلم الحديث ، لانه سجله قبل الفيلسوف الالماني بمئات السنين .

ويقول الدكتور حسين فرج زين الدين العالم الحياتي المصري : اذا كان (جيته) هو رائد علم التكافل ، فان الدميري هو الرائد الاول ، وصاحب الفضل الاسبق ، ولهذا فمن حق العلماء أن يزينوا صدور كتبهم في هذا العلم بكلمة الدميري « ان بين الضب والعقارب مودة » . ومن آثار الدميري في علوم التطور ودراسة البيئة ، ما اورده في كتابه عن تحريم أكل التمساح من قوله « ان الشرع يبيح أكل لحوم الكائنات البحرية قاطبة ، إلا ان التمساح ليس من هذه الكائنات ؛ اذ انه من اللواحم الارضية (أكلات اللحوم) التي عادت الى الماء . واللواحم الارضية لا يؤكل لحمها » وهو بذلك يشير هنا الى أحد الاطوار البائدة من حياة التمساح . والتي لم يعرفها العلم إلا حديثاً .

٣ ـ لم يوضح الاستاذ الكريم العزي أثر كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري على الحضارة الانسانية ، في كتابه الذي بين ايدينا . : ٥ يمكن تحديدها بعدة نقاط منهجية علمية تطابق المنهاج العلمي الحديث فيما يتعلق بعلوم الحيوان هي كما يلي :

أ ـ انه اول من تناول الحيوان من زوايا متعددة ، سواء من الناحية اللغوية والعلمية والادبية والدينية كل ذلك في مؤلف واحد ، هو موسوعة شاملة فريدة في نوعها .

ب ـ اهتم الدميري فيما يتصل بعلم الاحياء الجغرافي ، فقال مثلاً عن الحيوان المعروف باسم (الشيخ اليهودي) أو انسان الماء ، انه حيوان يوجد ببحر الشام وقال عن السمك الطيار « السمك الخطاف » انه سمكة ببحر سبته لها جناحان سوداوان على ظهرها ، تخرج من الماء وتطير في الهواء وثم تعود الى البحر . وهذه الامثلة توضح أن المطلع يستطيع أن يتبين منه موطن الحيوان سواء من الوصف أو

من النوادر والامثال .

ت - عنى الدميري ببيئة الحيوان وطباعه وغذائه . وذكر الحيوانات التي تنشط في النهار وتأثير ذلك على ابصارها . وتحدث عن الحيوانات التي تعيش في البيئات المختلفة كالصحارى وفي الاراضي المنزرعة والجبال والصخور وفي الانهار والبحار .

تكلم عن الخفاش ووصفه بأنه : « حيوان ليلي ضعيف البصر يتغذى بالهوام » . وقال عن القنفذ : « حيوان شوكي يتغذى بالحيات والحشرات » . وقال عن البوم « انها طائر ليلي يصيد الفأر » . ووصف النعامة : « بأنها جمل الصحراء ولها ساقان طويلان وخفاً يساعداها على العدو السريع وتتغذى بالحشائش » . وذكر الدميري السبات الشتوي فقال عن الدب : « فاذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذه في الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء » .

ج - تمكن الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى من تعريف كل حيوان ، وقد جعله في موضعه الصحيح من الشجرة الحيوانية .. فقسم الثدييات والطيور والزواحف والاسماك . كما قسم هذه الاقسام الى فروعها الصحيحة كما في التصنيف الحديث ... وبذلك فقد سبق كارل لينوس الذي قيل انه أول من وضع التصنيف الحديث للحيوان والنبات .

ح - زود الدميري المكتبة العربية لعلم الحيوان بثروة من الاسماء السليمة سواء في ذلك الحيوان البالغ أو صغاره واسماء الذكر والانثى كما افاض في تسمية الانواع ، مثل ما ورد تحت مواد الاسد والابل والخيل والحية وغيرها . وقد تضمن بعض الاسماء الغريبة التي سارت جنباً لجنب مع العلم الحديث مثل كلمة : (الجلكي) التي تطلق على نوع من الاسماك اللافكية يتطفل على الاسماك . ومثل كلمة الارنب البحري على ضرب ، من الحيوانات الرخوة ، يزحف على الاعشاب البحرية التي يتغذى بها . ويتميز بأن قرنيه « لاماميين » ويعرفان بالملماسين » كبيران وبشبهان اذني الارنب ومن هنا اشتق اسم الحيوان ... ومثل كلمة تطلق على طائر من طيور الماء وأخذها عنه احمد فارس الشدياق والدكتور جورج بوست ، والدكتور امين المعلوف في تعريف هذا الطائر .

د - استعان بكتابه هذا كثير من علماء الاجناس البشرية الاوربيين من امثال (هومل) في تحديد مواطن الجنس السامي في الشرق حسب توزيع الحيوان الجغرافي .

و - نتيجة لتقدير علماء الغرب للعالم العربي الدميري فقد اطلق العديد منهم اسماء على مؤلفاتهم مشابهة لاسم كتاب حياة الحيوان مثل العالم الالماني « بريم » الذي اطلق على موسوعته التي اخذ فيها عن الدميري (Tieresieben) أو حياة الحيوان ، وهو نفس الاسم الذي اطلقه الدميري على كتابه ، كما ان دائرة المعارف البريطانية وغيرها من الموسوعات الاوروبية والاميركية ، ترجمت للدميري وكتابه ، اعترافاً بفضله وتقديراً لعلمه .

ي - سطر لنا الدميري في كتابه هذا مادة علمية غزيرة عن الحيوانات التي بحث ودرس عنها . لقد شمل كتابه تقريباً جميع المجاميع من الحيوانات المألوفة التي نعرفها اليوم ما عدا المجهرية والغريبة جداً منها والتي لم يكشف العلم عنها إلا بعد ثلاثة قرون من وضع الدميري كتابه .

٤ - وحول أهم الدراسات العربية للدميري وكتابه لم يذكر الاستاذ العزي إلا مقدمة محمد الحافظ في كتابه المختصر المختار من كتاب الحيوان . ودراسات الاستاذ المؤرخ العراقي الدكتور جليل ابوالحب في حين غفل عن ذكر الاستاذ العالم المصري الدكتور حسين فوزي زين الدين (١٨٩٧ - ١٩٧٢) الذي كان أول من وضع دراسات وبحوث عن الدميري وكتابه حياة الحيوان فقد اشرف سنة ١٩٦٦ على اصدار موسوعة الدميري باجزاء متسلسلة من سلسلة كتاب التحرير ، ووضع فهرساً علمياً لما جاء في كتاب الدميري من اسماء الحيوانات المختلفة لما يقابل العربية بالانكليزية واللاتينية ، وكان زين الدين قد تناول سيرة الدميري وكتابه حياة الحيوان الكبرى ضمن كتابه دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي ص (٢٥٠ - ٢٦٥) .

كما تناول بالتحليل التكافل عند الدميري في دائرة معارف الشعب من سلسلة كتاب الشعب المصرية التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٦٠ .

وكان الدكتور محمد رشاد الطوبي قد درس كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري في سلسلة تراث الانسانية التي كانت تصدر في القاهرة في مج ٣ ، سنة ١٩٦٥ .

وسبق كل هؤلاء دراسة عن الدميري وكتابه للاستاذ المرحوم مصطفى الدمياطي على صفحات مجلة المقتطف المحتجبة في مج ٦٥ ، القاهرة ، سنة ١٩٢٤ .

وكذلك أعد صاحب هذه السطور دراسة موسعة عن الدميري وكتابه بعنوان « حياة الحيوان الكبرى للدميري واثره في علم الحيوان الحديث » نشرت في مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة الموصل ، العدد ١٨ ، السنة ٤ ، سنة ١٩٧٤ .

٥ - في ص ٤٦ من كتاب الطير اعتبر الاستاذ العزي الباقعة هي

الدغرة . في حين جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ١ ، ص ١٢٤) ان الباقعة (moor-fowl) هي كل طائر يرد المستنقعات دون المشارع .

في ص ٥١ ذكر العزي ان البغاث نوع من النسور ، **هذا** صحيح حيث ذكر ادور غالب في الموسوعة في علوم الطبيعة ، الجزء الاول ، ص ١٥٤ ما يلي : « البغاث : Catharista , Urubú » جنس طير من الكواسر ينتمي الى فصيلة النسريات . أنواعه قليلة جميعها كبيرة الجثة ، صلعاء الرؤوس ، مستطيلة المناسر ، منعقفة البهرة ـ ارساغها ومخالبها عارية ، سواقطها كبيرة الحجم سمراء اللون . أشهر أنواع البغاث الاسود (Urubu atrata , Catharista atrata) والبغاث الرشيق (Urubu aura , Catharista aura) .

في صفحة ٥٦ لم يعطينا الاستاذ العزي معلومات وافية عن البوه مع انه كان مصيباً فيما ذهب اليه من انها نوع من البوميات . وفي الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء ١ ، ص ١٧٩ : « البوه : جنس طير من البوميات (Homedsowls , Bnbo) وعماره البوهيات . أنواع عديدة منتشرة في جميع اقطار العالم وهي أكبر أنواع كواسر الليل حجماً تتميز بمناسرها الصلبة القوية ومناشقها المستديرة الفسيحة وسواقطها الضعيفة وانيابها القصيرة وارساغها ومخالبها القوية العارية . أشهرها البوة (Eagle - owel , Great horned owl , maximus) وبوه فيرجينية (Virginian homed owl , Bubo virginianus) .

وفي صفحة ٨٤ ، اعتقد استاذنا العزي ان وصف الدميري لهذا الطير المبالغ فيه هو طير اسطوري . بينما يذكر ادوار غالب في موسوعة علوم الطبيعة (الجزء ٢ ، ص ٢٩٩) ما نصه « الخنق (قشعام أكلف) Gyps fulvus . طائر من القشعام طوله نحو ١٢٠ سم . بسطته ٢٧٠ سم . ثونه الى الكلفة الغبراء تزهو في الظهر وتعبق في البطن . سقطه رافل كبير تعترضه خطوط بيض . توزيعه فسيح الارجاء تمتد من الهند الى اوروبا وافريقية الشمالية والشرقية . يضع اوكاره في صدوع الصخور الشاهقة الموحشة . الانثى تبيض بيضة واحدة أو بيضتان تحضنها بمناوبة الذكر نحو اربعة اسابيع . وهو من الطيور القواطع .

في صفحة ١٠١ ، اعتبر الاستاذ العزي الدقيش هو نفسه الدغناش (الدقناش) .

بينما في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء الاول ، ص ٤٠٩) اعتبر الدقيش جنساً آخر قال : الدقيش ـ Tanysiptera جنس طير من المانوريات (Daceloniens) . أنواعها قليلة العدد . اجسامها متوسطة الحجم . أثوابها متراكبة الالوان . رؤوسها واجنحتها إلى المزرقة الزاهية . محاسرها وظهورها وجوانب اعناقها سود . صدورها وبطونها الى الصهبة الربداء . افانيكها وثبج ظهورها بيض . وهي تالف الاحراج والغابات قوتها الحشرات .

وفي الصفحة ١١٦ ، ابو زيدان فان الدميري ربما خلط ما بين هذا المصطلح أي اعتبره طير في حين كل المصادر تشير الى انه نبات وقد جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ١ ، ص ١٢) أن ابو زيدان (Anchonium , Anconium) نبات عشبي نجمي بري معمر من فصيلة الصليبيات . مهده بلاد الشرق الادنى . يقال انه من النباتات الطبية التي يتداوى بها والتي تقوي المعدة والامعاء . وهو من نباتات جرود لبنان الطوعية . يوجد من ارتفاع ١٥٠٠ ـ ٢٥٠٠ م . نجمته كوكبية فرعاء . اوراقها جذرية الانتشاب مستطيلة الشكل ، نصلها خملي البشرة ، مسنن الحافة . ازهارها حرشفية الكاس ، ارجوانية البتلات . بذورها ضخمة .

في الصفحة ١٤٤ ، لم يهتد الاستاذ العزي الى طائر الصعب . وقد بحثت عنه في كثير من المراجع والمصادر فلم أجد غير مصدر واحد هو الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء الثاني ، ص ٦١) قال : « الصعب (Quelea) جنس طير من فصيلة التنوطيات . انواعه المعروفة ثلاثة موطنها افريقية الشرقية من شواطىء بحر القلزم (الاحمر) الى ما وراء الحبشة . اجسامها صغيرة الحجم طولهايتراوح من ١٢ ـ ١٥ سم . اثوابها قليلة الاختلاف عن بعضها ، يكثر فيها الاحمر العنابي رؤوسها واعناقها واجنحتها سود . حتار قوادمها واباهرها صفر . مناقيرها سود أو حمر . ارساغها الى السمرة الحنطية قوتها الحبوب والبذور والهوام . تعيش في الادغال . اعشاشها محبوكة القش ، كروية الشكل ، مقطومة المدخل . اناثها تضع من ٥ ـ ٧ بيضات تحضنها بمناوبة الذكور نحو اسبوعين . الجمع صعاب .

في الصفحة ١٥٤ . ذكر الاستاذ العزي انه يعتقد انه البومة الاذناء أو البومة . لكن الاستاذ ادوار غالب ذكره في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ٢ ، ص ٩٣) . قال « الطبطاب (Megacephalos) جنس طير من فصيلة الشقبانيات (Megapodiidae) . أنواعه قليلة تتميز باعتدال اجسامها . رؤوسها صلع تعلوها خوذ سود قرنية التركيب . إذ انها كبيرة الحجم . ظاهر اثوابها الى السمرة العابقة يعلوها مواج زيتوني باطن اثوابها وبطونها واذنابها الى السمرة الوردية . اجنحتها مستديرة الشكل ، متوسطة الحجم . اذنابها صغيرة فرقة . ارساغها قوية لونها الى السواد . تالف الاحراج القريبة من الشواطىء . تعيش ذكراً وانثى كالحمام . اسرابها تعد من ٧ ـ ١٥ زوجاً . قوتها الحبوب على اختلافها . اناثها تبيض في افحوص كبير الحجم قطرهيتراوح بين ١٢٠ و ١٥٠ سم . وعمقه من ٣٠ ـ ٦٠ سم . تحفره مع ذكورها ورفيقاتها من السرب الواحد في رمال الشاطىء على حدود مرمى المد . وهي لا تحضن بيضها بل تضعه في الافحوص وتغطيه بطبقة من الرمل سماكتها نحو ٢ سم . فينقفه بعد اسبوعين . وهي تبيض في موسمها من ٨ ـ ١٠ بيضات ، تضعها بالتتابع حيث ينقضي بين الواحدة والتي تليها ١٢ ـ ١٤ يوماً . والبيضة كبيرة الحجم مستطيلة الشكل تبدو عند

وضعها قرميدية اللون ثم تنحرف الى الصفرة وتستقر على البياض . الفرخ يقف كاسياً نشيطاً مستغنياً عن حضانة امه التي يجهلها ولا تعرفه .

في الصفحة ١٩٦ . اعتبر الاستاذ المزي هذا المصطلح الذي ذكره الدميري نوعاً من الجراد الكبير وشكك في الاسم فيما بعد باعتباره القبيط كما سمته سامية مراد المترجمة لكتاب الطيور المصرية من تاليف ويمبر . لكنه جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة (الجزء ٢ ، ص ٢٧٤) ما يلي : « القبيط ـ Asiaticpea - Cock , Polylectron » جنس طير من فصيلة التدرجيات انواعه المعروفة عشرة جميعها من طيور الزابج والهند الصينية . تألف المناطق الحرجية الجبلية . أجسامها قريبة من التدرج . أنيالها مستطيلة منفشة كاذيال الطاووس تتميز بصيص ارساغها التي يتراوح عددها بين ٢ و ٦ . قنابرها تاجية منتصبة . اثوابها عديدة الالوان يكثر فيها الاخضر الاسفع والازرد الحنطي الافلوسي التبقيع والتوشيم . اناثها تضع من ١٢ ـ ١٦ بيضة تحضنها وحدها في اماكن ترصعها بالقش والورق اليابس بين الادغال الكثيفة .

في الصفحة ٢٤٠ لم يهتد . الاستاذ المزي الى تعريف هذا الطائر الذي ذكره الدميري بصورة مبهمة .

وجاء في الجزء الثاني ، ص ٥٦٦ من الموسوعة في علوم الطبيعة ما نصه : « التمبول ـ Spilornis ، جنس طير من السقاوات وفصيلة الصقريات . أنواعه عديدة جميعها من اوابد المناطق الحارة . اجسامها ربعة ، اثوابها مختلفة الالوان المتركبة . تتميز برؤوسها المتوجة بكشة قفنية الارتكاز . تعيش في الجبال الجرداء وفي الغياض القاحلة . غذاؤها القواضم والزواحف والافاعي والحشرات ـ أشهر انواعها تمبول باشا ـ Spilornis bacha » .

المراجع

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ، القاهرة ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ـ ١٩٦٦ (كتاب التحرير) ، (١ ـ ٢) .

(٢) الطير في حياة الحيوان للدميري ، تحقيق الاستاذ عزيز العلي المزي ، بغداد ـ ١٩٨٦ .

(٣) الطيور العراقية للاستاذ المرحوم بشير اللوس ، بغداد ـ (١ ـ ٣) . ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ .

(٤) الموسوعة في علوم الطبيعة، للاستاذ ادوار غالب ، بيروت ١٩٦٦ (١ ـ ٣) .

(٥) الطيور الليبية ، اوجستوتوسكي ، ترجمة : عياد موسى العوامي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ـ طرابلس ، ١٩٨١ .

(٦) دائرة المعارف الزراعية . اصدار المجلة الزراعية العربية ، القاهرة ، (١٩٦٠ ـ ١٩٧٧) ، الاجزاء من (١ ـ ٨) .

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة